المقابلة بين الكتاب وتآليف ابن شينا العربيّة وتآليف ابن الميري العربيّة فان هذه تعدّ القائد الامين في حلّ الاشكال وعندها تسطع الحقيقة بكل ضيائها. واني في الختام اثني على صاحب المشرق الاغرّ بلسان اهل البحث كافةً لنشره مثل هذه المباحث الجامعة بين اللذة والفائدة لعموم القرّاء الكرام

هذا ما عنّ للخاطر القاصر اوردتهُ بكل التدقيق سعياً وراء الحقيقة لا تنديداً باحدٍ من الناس ولا تخجيلاً لآخر فان كنت اصبتُ فيما تحرّيتهُ فغاية المرام والّا فالعصمة لله الواحد العلاّم والسلام

شهيدان سوريّان

نظرٌ للاب لويس جلابرت اليسوعي

قلّما نجد بين اقطار الشرق بلاداً كسوريّة امتازت بآثارها الدينيّة. فلا نكاد نخطو خطوةً الّا نعثر على بعض المآثر التي تنبئ برسوخ قدم النصرانيّة في هذه الاوطان مدّة الاعصار الخالية. ولنا على ذلك احسن شاهد في اوليائه الذين اورثوا بلادنا فخراً عظيماً وخلّفوا من بعدهم اطيب ذكر

ومصداقاً على هذا القول احببنا ان نبحث عن ترجمة شهيدين قديسين ماتا في سبيل الايمان في سوريّة فانتشر اسمهما في الشرق الى اقصى حدوده وبلغ الاصقاع الغربيّة حتى عمّ بلادها جمعاء. والشهيدان المذكوران هما القديسان سرجيوس (سركيس) وباخوس من شهداء القرن الثالث (١ وعيدهما تقيمهُ الكنيسة في اليوم السابع من الشهر الجاري اي تشرين الاول

*

كان سرجيوس وباخوس ضابطين يخدمان القيصر الرومانيّ مكسيمينوس غاليريوس في كتيبتهِ المعروفة بفرقة الغرباء (schola gentium). وكانا قد ابليا البلاء

١) نقلنا هذه الترجمة عن اصدق المؤرخين الذين كتبوا اعمال الشهيدين. وفي تراجم البولنديين خمسون صفحة ضخمة راجعناها فاخذنا منها زبدتها

الحسن في الحرب التي اصلاها الرومان على الفُرس (١ سنة ٢٩٧ فحظيا عند القيصر ونالا من نعمه نصيباً فجعل سرجيوس ضابطاً اوّل (primicerius) وباخوس ضابطاً ثانياً تحت امره (secundarius)

واعلم ان الكتبة الذين اقاضوا في ذكر استشهاد هذين القديسين ضربوا صفحاً عن اصلهما ولم يفيدونا عن اعمالهما الّا النزر القليل. ومن المرجح انهما كانا من أسرة شريفة متشبعين بالحقوق المدنيّة الرومانيّة ولولا ما تزيّنا به من السجايا الفريدة لما اصابا عند القيصر مكسيميان الاثرة والحظوى. بيد ان هذه الألفة عند الملوك لم تلبث ان تحوّلت فصارت عليهم وبالًا. فانّ بعض الحسّاد اذ رأوهما في هذه الرتبة الرفيعة سعوا بهما الى القيصر سيّدهما ورموهما بالكفر لامتناعهما عن عبادة الاصنام فاستدعاهما الملك وعرض عليهما السجود للطواغيت وتقدمة الذبائح لآلهة المملكة فلم يجيبا الى طلبه هاتفين: «ان لنا ملكاً ازليّاً هو المسيح ابن الله فاياهُ نعبد لا الخشب والحجارة ولهُ نقرّب كل يوم ذبيحةً مقدّسةً حيّةً». ولمّا لم يجد الطاغية وسيلةً من وعد او وعيد من تمليق او تهديد ليثني الضابطين عن عزمهما استشاط غضباً وامر بان تُنتزع عنهما شارات رتبتهما العسكريّة ثم البسهما لباس النساء ازدراء واحتقاراً واثقلهما بالحديد

وكان مكسيميان غاليريوس شديد البغض للنصرانيّة ينكل باصحابها ويذيقهم الموت الوانًا. لكنّهُ لم يجسر ان يوقع بخادمين اميّنين بذلا الروح دونهُ وأخلصا لهُ الولاء في الجنديّة ولعلّهُ تخوّف من شغب يقع في عسكره اذا ما حكم عليهما بالموت فالتجأ الى ضروب التهويل والتلطّف لكنّهُ وجد بهما بطلين صنديدين لا تعمل بهما المخاوف والمواعيد

فعهد حينئذٍ بامرهما الى قائد الجيش انطيوخوس وكان معروفاً بفظاظة طباعه وشراسة اخلاقه فضلًا عمّا كان في قلبه من الحزازات على النصارى. فامر للحال بأن يُؤتى بباخوس فجُرّد من ثيابه وأُلقي على ظهره وضُرب بالسياط ضرباً مبرّحاً اجرى دماءهُ سيولًا وكان الشهيد مع ذلك لا يفوه ببنت شفة حتى ولم يُسمع لهُ صوت انين وبقي على ذلك حتى لفظ روحهُ البارّة بين يدي خالقه. اما جثّتهُ الطاهرة فطرحها المغتصبون في بالوعة لكنّ بعض الجند المتنصرين تمكّنوا من استخراجها فدفنوها

(١ راجع P. Allard: *Hist. des persécutions*, T. IV p. 113-114 en note

يزيد الاكرام. وقد ظفر باخوس باكليل الاستشهاد في مدينة بَرْبالَّة المعروفة اليوم ببالس

اما سرجيوس فكان ينتظرهُ جهاد اعظم من رصيفهِ في الجندية واخيهِ في الايمان فاعدَّ نفسهُ بالصوم والصلاة لما كان يترقَّبهُ من المحن. فلمَّا وصل الجيش الروماني الى مدينة سورة (الحمَّام) استحضر القائد سرجيوس وطلب منهُ ان يجحد ايمانهُ فاجاب برصانة وحزم: « لستُ فاعلًا فاصنعوا بي ما شئتم ». فتقدَّم انطيوخوس الى عمَّالهِ ان « اجعلوا في رجلهِ حذاء ذا مسامير محدَّدة واكرهوهُ على ان يجري امام مركبتي مسرعًا ». فمشى على هذه الحالة مسافة عشرين ميلًا حتى بلغ مدينة تدعى تتراپرغيا. فاخذ العجب انطيوخوس لرباطة جأش الشهيد وصبرهِ على مرِّ النكال واظهر لهُ بعض الاسف على اوجاعهِ فاجابهُ: « اني لا اشعر بالم البتَّة وانَّما عذاباتكم لديَّ احلى من شهد العسل ». فنسب القائد هذا الكلام الى العناد والتعنُّت وامر بان يُساق سرجيوس الى الموت. فسار الى محلّ العذاب وهو يتهلَّل فرحًا اذ اهَّلهُ الله لان يُهريق دمهُ لاجل اسمهِ. ثم صلَّب على وجههِ ومدَّ عنقهُ لسيف الجلَّاد. وكان موتهُ في مدينة رصافة حيث دُفن فدُعيت البلدة منذ ذاك باسمهِ سرجيوبوليس. والى مدفنهِ نُقل بعد قليل جسم باخوس رفيقهِ ليضمَّهما قبر واحد كما اجتمعا في الايمان والجهاد

*

عاد مكسيميان غاليريوس بجنودهِ الى الغرب ونسي الضابطين اللذين ضحاهما لدينهِ الباطل لكنَّ الله لا ينسى اولياءهُ فما مرَّ على استشهاد سرجيوس وباخوس زمن قليل حتى اخذت جماهير المتنصرين تُتمِّم مشهدهما وتتبرَّك باستلام ضريحهما حتى شاع اسمهما في كل بلاد الشام. ومَن دوَّنوا ذلك في تواريخهم تاودوريطس اسقف كورش من كتبة القرن الخامس (١ فانهُ يذكر توارد الزوَّار منذ قديم العهد الى ضريح الشهيدين لاسيَّما يوم عيدهما الذي كان يضاهي اعياد الرسل الحواريين بطرس وبولس وقوما ورونتا

ومما يثبت غوَّ عبادة المؤمنين نحو القديسين سرجيوس وباخوس انَّ خمسة عشر اسقفًا اجتمعوا في ذلك القرن واخرجوا ذخائر الشهيدين ليجعلوها في معبد واسع اقيم على ذكرهما بلغت نفقاتهُ ٣٠٠ مثقال ذهب

ومن ذلك ايضًا رسالة الاسكندر اسقف منبج كتبها سنة ٤٣٢ الى الملكة

١) راجع كتابهُ في معالجة ادواء الوثنيين (ك ٨ ف ٩)

اردكسيا امّ تاردوسيوس الصغير يشكر اليها تعدّي بطريرك انطاكية على حقوق مخصوص كنيسة الشهيدين سرجيوس وباخوس. وهذا اختصام دليل كافٍ على عظم شأن هذه الكنيسة وتقاطر المؤمنين اليها منذ ذاك العهد المجيد

ولم تنحصر عبادة القديسَين في محلّ استشهادهما بل شرع المؤمنون يشيّدون على اسمهما مشاهد وكنائس في انحاء شتى كما استدلّ على ذلك ارباب العاديّات. منها مشهد (ιερόν) في البثنيّة في قرية الحثّ (Eitha) التابعة لشهبه (Philippopolis) وقد وجد العلاّمة وادنغتن (١ الكتابة التي كانت على باب هذا المقام. ومنها كنيسة في جهات الصفا (٢ بُنيت سنة ٥١٧ م وأخرى في حوران في دير القاضي عند بصرى الحريري (٣

ومما زاد في نشر اسم الشهيدين ما صنعهُ الله على يدهما من المعجزات العديدة والآيات الجليلة ذكر المؤرخون بعضها. منها ما رواهُ نيقيفور كالستوس في تاريخهِ الكنسي (ك ١٥ ف ٢٣) عن احد الموسويّين كان سعى به اعداؤهُ ظلماً فنصبوا اليهِ الشغب والمكيدة على الدولة وحكموا عليهِ بان يُحرَق مع ولديهِ فلم يرَ المسكين لنجاتهِ وسيلة الّا ان يستغيث بالقديس سرجيوس طالباً اليهِ ان يذكيهُ من هذه التهمة وينجيهُ من النيران الملتهبة. فما ختم صلاتهُ حتى ظهر فوق النار فارسان اخمدا سعيرها على اعين الشعب وخلّصا المظلومين فهتف الشعب صارخاً: «واعجباهُ. فليحيَ سرجيوس وباخوس» امّا اليهودي وولداهُ فعظّموا الله في قديسيهِ واصطبغوا بالعماد واقاموا للشهيدين كنيسة حيث صارت المعجزة وتولّوا سدانتها طول حياتهم (٤

ومنّ متّعهم الله بشفاعة القديسين سرجيوس وباخوس الملكان يوستينوس ويستيانوس فانهما اذ كانا قائدين لانطاس الملك حُكم عليهما بالقتل فاستشفعا بحماية الوليّين فتراءيا للملك وامراهُ باطلاق سراح القائدين فامتثل امرهما. امّا القائدان فعرفا للشهيدين هذه النعمة وشيّدا كنيسةً على اسمهما في اشقودرة (٥. ولمّا صار زمام الملك الى يدَي يستنيان ابتنى لسرجيوس وباخوس بيعةً غاية في الجمال كنيسة الرسولين

---

١) راجع كتابهُ Inscriptions grecques et latines de la Syrie, n° 2124

٢) W. n° 2477 ٣) W. 2412

٤) راجع كالستوس (Nicéphore Calliste: *Hist. Eccl.* l. XV, c. XXIII)

٥) راجع المورخ زوناراس (Zonaras: *Annales*, l. XIV, c. IV)

بطرس وبولس وشيّد ديرًا على اسمهما في عاصمته ونقر في فلسطين بئرًا لرهبان دير مار سرجيوس واقام معبدًا لهما في عكّا واغنى كنيستهما في رصافة بمواهب جزيلة منها صليب ذهبي كبير القيمة (١

وقد شعرت مدينة رصافة المذكورة غير مرّة بشفاعة القديسين سرجيوس وباخوس وخصوصًا لمّا حاصرها كسرى ملك الفرس بجيوشه وكاد يفتحها ولم يكن فيها من الجند من يحميها فظهر على صور المدينة جيشٌ من الفرسان والجند رموا الفرس بالسهام وردّوهم خائبين (٢

فكان لكلّ هذه العجائب رنّة واشتهار حتى بلغ ذكرها كلّ العالم المسيحي فشُيّد لهما معابد ومقامات واديرة في اقطار الارض جمعاء منها كنيسة مار سرجيوس في العراق وكنيستهُ بقرب نصيبين سنة ٦٢٨. ومنها كنائسهما في بلاد ايليرية (وملي) وبلاد مصر. بل انتشرت العبادة نحوهما في كلّ بلاد غالية كما شهد على ذلك المؤرخ غريغوريوس من طور (٣ في اخبار زمانه (٥٣٩—٥٩٣) ومما روى ان الملك غُندبو (Gondebaud) كان يحمل على صدره اصبعًا من ذخائر القديس سرجيوس في حروبه. ومن آثار هذا التعبُّد ديرٌ بناهُ في فرنسة الملك كلوفيس الثاني في القرن السابع على اسم الشهيدين السوريين نا وزها مدّة اعصار متوالية لاسيّما اذ اتاهُ قسمٌ من ذخائر القديسين في سنة ١١٥٢ فمنح الكرسيّ الرسوليّ غفارين ليوم عيدهما وكان يُحتفل به كلّ سنة احتفالًا بهيجًا. وكذلك كان يُعيَّد لهما في مدينة طور عيدٌ في كنيسة القديس مرتينوس شفيع البلدة على حسب منطوق براءة البابا بولس الثاني سنة ١٤٦٩. ولم تتأخّر باريس عن اكرام القديسين فكان لهما كنيسة في حيّ سان جاك. امّا رومية العظمى فكانت تكرّم الشهيدين سرجيوس وباخوس في اربع من كنائسها او اديرتها. وترى حتى الآن مدينة البندقيّة تقيم لذكرهما عيدًا سنويًا يرتقي في سلّم الاعصار الى سنة ٨٥٠ وكذلك عاصمة بوهيمية مدينة پراغ التي اهداها ملكها كارلوس الرابع ذخائر من عظام الشهيدين

---

١) راجع بروكوبيوس (Procope : *de Ædificiis*, l. I. c. IV)

٢) راجع افاغريوس (Evagrius : *Hist. Eccl.* IV. 28)

٣) راجع تاريخهُ Greg. de Tours : *Hist. des Francs* l. VII. c. 33 وكتابهُ *De gloria Martyrum*. l. I. c. 97

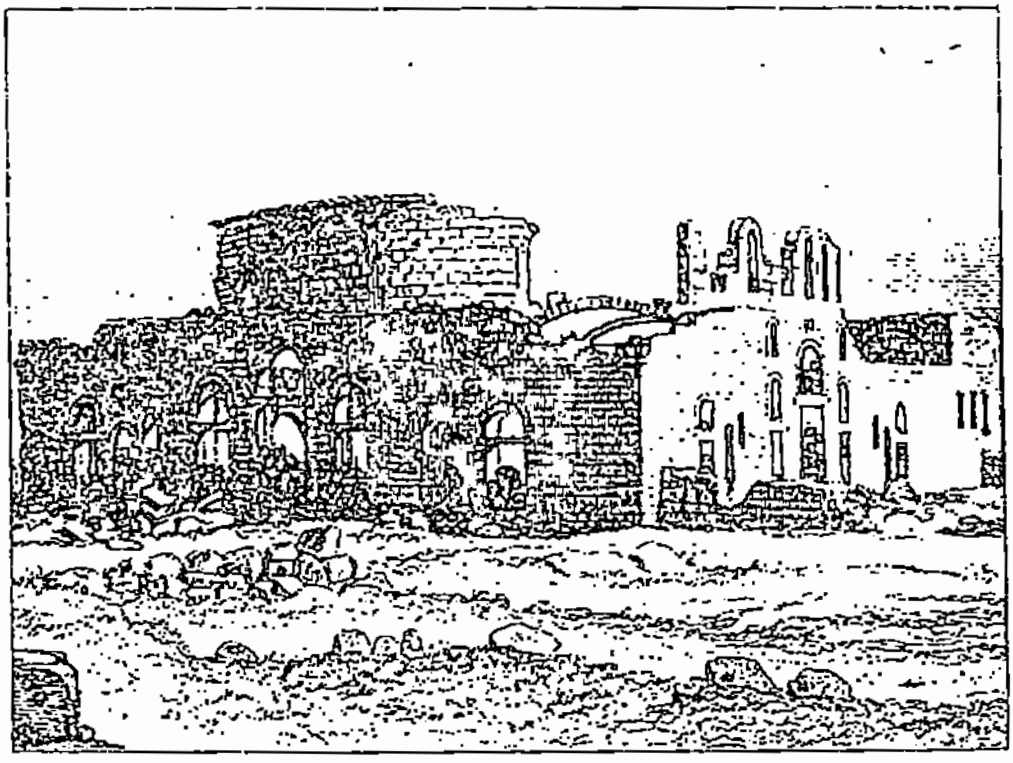

اخربة كنيسة الشهيدين سرجيوس وباخوس في بصرى (حوران)

امّا بلادنا السوريّة فانّ بقايا ذكر القديسين سرجيوس وباخوس فيها كثيرة كالكنائس والاديرة وغير ذلك منها دير في ريفون للدوارنة ودير شهير في معلولا للروم الكاثوليك (١ وكنائس أخرى عديدة ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقيّة (٢ .وقد ذكر العدد السابق من المشرق (ص ٩٠٩) كنيسة القديس سرجيوس وباخوس في مدينة بصرى من اعمال حوران ومما يُستدلّ به على ذلك قطعٌ وجدها الاب لويس شيخو في حمص من انجيل قديس لوقا مكتوبة باليونانيّة على رقّ غزال نُزعت من كتاب كان يخصّ كنيسة هذين القديسين في سنة ١٣٤٤ والكنيسة المذكورة من اقدم كنائس النصرانيّة بُنيت سنة ٥١٢ للميلاد (٣

---

١) راجع خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (ص ١٥٨)

٢) راجع Assemani : *Bibl. Orient.* II 127, 358, 422

٣) راجع وادنتون (W. n° 1914)

وفي الختام نتمنّى ان يعود اهل بلادنا فينعشوا في قلوبهم العبادة نحو اولياء الله الذين زيّنوا الكنيسة بفضائلهم فعسانا ان نمشي على آثارهم كي ننال بشفاعتهم ما نالوا من الثواب الجزيل نفعنا الله بصلواتهم

من رياق الى حماة

رحلة حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

ومما اطّلعنا عليه في حمص من المخطوطات النصرانيّة ثلاثة كتب خطّها احد الملكيين في اوائل القرن الثامن عشر يحفظها اليوم حفداؤهُ كذخيرة في بيوتهم. والكتاب (الاوّل) يصونهُ الخواجا مرشد افندي سمعان يُدعى «الكافي في المعنى الشافي» وهو «مما اوردهُ البارّ الاب جراسيموس رئيس دير القديس سمعان العجائبي وذلك في تثبيت دين النصرانيّة القويمة الراي. فرغ من نسخهِ في ٢١ تشرين الثاني سنة ٧٢٠٩ لآدم الموافق لعشرين جمادى الثاني من السنة ١١١٢ الهجريّة (١٧٠٠ م) على يد يوسف بن عبد الله بن يوسف الملقب بالشدياق من قرية كفر حلدا من ناحية البترون من اعمال طرابلس الشام القاطن يومئذٍ بمدينة حمص» وصفحات الكتاب ١٩٤ وفي آخرهِ «كيكلوس في معرفة الاشهر الروميّة والعربيّة وفي الاعياد المنتقلة في ثمانية عشر بابًا». والكتاب الثاني نسخهُ يوسف بن عبد الله الشدياق المذكور سنة ٧٢١٨ لآدم (١٧٠٩ م) وهو يحتوي زبور داود ويسان في بيت المعلّم الفاضل نيقولا افندي اسكندر من وجوه كاثوليك حمص. والكتاب (الثالث) لدى احد انسبائهِ من بيت نسيم وهو كتاب في القواعد الشمسيّة نسخهُ يوسف بن عبد الله المذكور ولم يذكر مؤلّفهُ. في اوّلهِ مقدّمة مفيدة لتاريخ النصرانيّة في بلادنا نوردها بالحرف:

«نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ بنساخة القواعد الشمسيّة وحساب الكيكلوس القمري لاجل عيد الفصح المجيد وسبب ذلك انهُ في سنة سبعة آلاف وسبعة واربعين (١٥٣٨ م) وقع الخلاف بين جماعة الملكيّة وجماعة الطوائف الاراطقة بسبب عيد الفصح المجيد لانّ جماعة الملكيّة المستقيمين الامانة عيّدوا في ستّة ايّام من نيسان وظهر لهم الحقّ العظيم. واما جماعة طوائف الاراطقة فانهُ كان على كنيسة القدس امين اسمهُ النقّاش وان جماعة الاراطقة برطلوه بالف دينار فاشتل للطوائف من القنديل. وكاتبُ الاحرف لمّا اجتمع في قارا بسبب العيد وكان سبب الجمع